

## القاص السعودي محمد علوان: الإبداع والكتابة تطورا بفعل التقنيات الجديدة

### وزارة الثقافة السعودية جاءت كمنقذ يللم شتات العمل الثقافي

يحتاج المشهد الثقافي السعودي إلى المسائلة، وإلى وضعه على طاولة المحاكمة الدائمة، والتشريح المستمر لأدبياته وإنجازاته حتى يقف على رجليه باستقلالية تامة دون وصاية أو انكالية أو انتظار أحد. "العرب" في هذا الحوار تتوقف مع الأديب والقاص السعودي محمد علوان للحديث عن إصداره القصصي الأخير وعن بعض قضايا الشأن الثقافي السعودي في زمن التحولات الكبيرة.

زكي الصدير  
كاتب سعودي

صدرت مؤخرا عن النادي الأدبي بالرياض المجموعة القصصية "إحداهن" للأديب السعودي محمد علوان (مواليد 1948)، وتأتي هذه المجموعة بعد عدة مجموعات قصصية، نذكر منها "الخبز والصمت" 1977، و"الكتابة تبدأ هكذا" 1983، و"دامسة" 1998، و"هااتف"، بالإضافة إلى مجموعة مقالات حملت عنوان "الذاكرة الوطن" 1993.

مجموعة "إحداهن" تنتصر للمهمش، وتعلي من قيمة العدم، وتحثي بالقراء، وتؤثت للأمل الذي ربما لا يأتي، لكن أبطال علوان -على خلاف ونوس- محكومون به. وعن ذلك يقول محمد علوان "في الكتابة السردية، سواء كنص روائي أو كتابة القصة القصيرة، لا يمكن أن تنقص الكتابة عن المجتمع، وتنتقي المهمش. لكن الهاجس الذي يفرضه النص لا يذهب بشكل مسبق، بل هو مقدرة الروائي أو القاص على اقتناص التفاصيل وإعادة بث روح الجمال، التفاصيل التي تهزنا بعنف حتى يثمر العمل، ويصبح مدمشاً للقارئ ويمنحه متعة المتابعة والاستزادة والبحث عن سر النص، واكتشاف عوالمه وخفاياه".

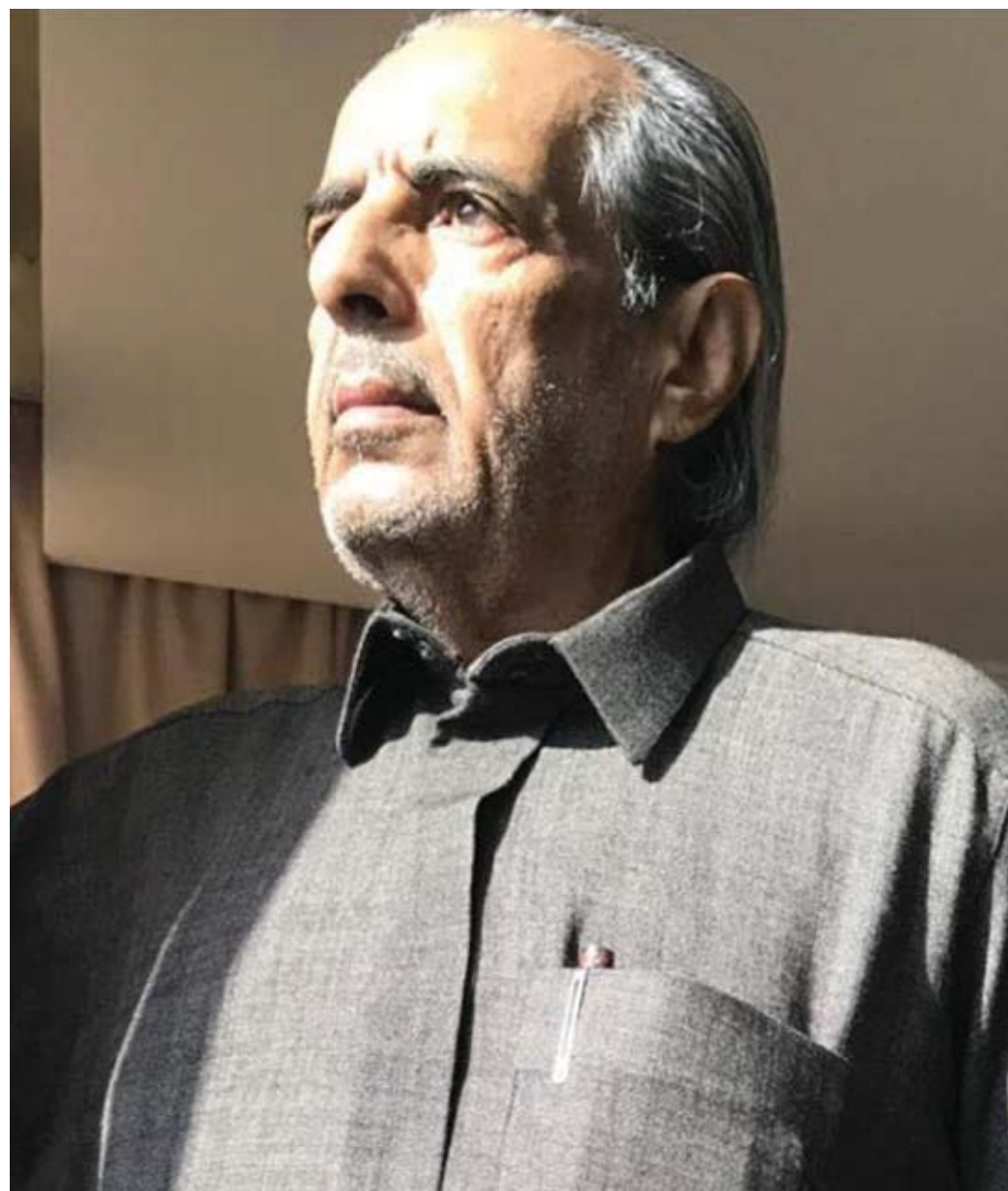
ويضيف "الكاتب الحقيقي يلتفت إلى الهاشم باعتبار الذين يعايشونه هم أناس يعرفون الحب ويؤمنون بالحب الحقيقي، هم الذين يقفون إيقاع الحياة، ولا يرسمون الأصباغ فوق وجوههم، هؤلاء هم الأصل لا الهامش".

### الكاتب والذاكرة

وإثر سؤال عن مسؤوليته كمنقذ حيال المهتمش، وهل يجب عليه أن يكون صوتاً لهم، يقول محمد علوان "هذا السؤال يطرح شعرا هو أقرب لتنفيذه إلى الدولة منه إلى المثقف. المثقف دوره إلقاء الضوء بغنه الذي يتقنه، تلك حقبة عفا عليها الزمن أو يكاد، أن يوحي لك هذا النص أو ذلك، يعتمد ذلك على ذاقتك، وعلى

تقسيرك الذي تؤمن به، وليس للمبدع إلا هذا النص، وتفسيره يقع على الناقد الصادق وعلى القارئ الذي يصله العمل سلبي أو إيجاباً؛ إن عليهما أن يحددا موقفهما، الناقد بإيقاع رأيه، والقارئ بمتابعته أو عدمها، وهي مسألة لا يعرفها المبدع، ويبدو لي أن الناقد قد هجر وظيفته الحقيقية ليتفرغ للوصول إلى المشهد الثقافي ليس أكثر".

وحول دور الأديب في توثيق الذاكرة الشعبية التي تؤرخ لتاريخ الإنسان في السعودية قبل وبعد النفط في زمن التحولات الاجتماعية الحادة، يقول علوان "الذاكرة الشعبية كتحب عنها الكثيرين، وودت رسائل جامعية متخصصة بهذا المجال، ولا تخلو مجموعاتي القصصية الخمس من استحضار هذه الذاكرة من حين لآخر، ولكن بروية فنية دون الدخول في سردها، وشرح تاريخها، أو ملبساتها الموضوعية، فهذا له أهله،



الهم الثقافي المشترك هو محور رؤية المملكة 2030

وليس كما هو موجود في القصص والروايات المصرية والسورية، وهذا هروب من الوقوع في شرك الأسماء الثنائية أو الثلاثية، وهناك حيلة فنية تذهب بالروائي أو القاص إلى استدعاء التاريخ الموهل في القدم للهروب من القيد المجتمعي والرقابي بمنتهى الذكاء والملاحية، أو اللجوء إلى اسم البطل المفرد".

### بين الصحو والحداثة

يؤكد علوان أن مفهوم الصحو ليس نقيض الحداثة، فالصحو -بحسب قوله- نشأت كتيار ظلامي سياسي يقالب ديني، عاث فساداً في كل شيء جميل في هذا الوطن الكبير، وأخذ مشروع عبيته من الدولة قبل أن يفضح أمره، وتكشف مآربه وخططه لبث الرعب والتأخر في حنايا المجتمع. ويخص الكاتب حديثه عن الصحو بدورها في تقييض دور المرأة الريادي في ظل دولة تؤمن بالإسلام الوسطي والحضاري، وكيف حاربت الصحو الفنون على اختلاف أنواعها؛ من مسرح وسينما وغناء وفنون تشكيلية وحتى الفلكلور والفلسفة كعلم إنساني وحضاري.

### أغلب الكتاب السعوديين إما أن يكتبوا تاريخاً قديماً أو عن أبطال لهم أسماء مفردة للهروب من القيد المجتمعي والرقابي

ويقول "الحداثة كانت نمطا جديداً من أشكال الكتابة شعراً وقصة ورواية، وهذا النمط أخذت به معظم شعوب العالم دون المساس بالأديان والمعتقدات، ولقد مرت على الشعر العربي تطورات في الشكل والمضمون مسارية لكل أنواع الفنون التي تتطور، وكان الصراع من جانب واحد، هذا الجانب الذي لا يؤمن بالحضارة البشرية جملة وتفصيلاً، وكان العمل من الجانب الآخر هو الإصرار على الإبداع والكتابة التي

## الفراغ الداخلي واستعارات الجثة بين الرواية واللوحة

يبنع صوت المتكلم في المقطع الروائي من خارج الجسد العليل، ويخط الوعي مسافة مع الأعضاء، وكأنما يتعلق الأمر بذات ثانية، تتمثل هي عينها كآخر، موضعاً للتأمل واستبطان الأحاسيس المنتكسة والكسيرة والمهزومة، وتختصر الكتلة الظاهرة في بؤرة تشوهها وانمحاءها، فتتحول إلى مجرد ورم يختزل المسافة إلى الجثة القادمة.

لن يعود الجسد في المبنى السردى كما كان برغم تجاوزه لأورامه الظاهرة والباطنة، ما دام السياق العام مجتاحاً بالفراغ، تتساقط عن بعد أحاسيس القرابة مع تساقط الأهل والأصدقاء والجيران في مطحنة الحرب، وأخذ ما تبقى من محيط اليف إلى المعتقلات وتوزع من تبقي بين مخيمات اللجوء، حيث لن يعود لكل تلك الكائنات البشرية من هوية إلا هوية الجثة، "عالم عنوانه (المصطفون للألم)" بتعبير البطلة جمان بدران التي لم تعد محتاجة إلى تسويات ولا إلى انتصارات، بقدر حاجتها فقط إلى دواء، يوقظ إحساسها بالوجود. وفي مقابل جمان اللاجئة، المهوددة بالسرطان، الهاربة من ماضي أمكنة

وأهل وعمل وأصدقاء إلى الفراغ الجهنمي، في رواية شهلا العجيلي، ترتصف ثلاث لوحات للتشكيكية السورية: فاديا عفاش التي تعيش منفاهاً بالولايات المتحدة، هي التي جربت الشتات منذ طفولتها حين اجتاحت إسرائيل هضبة الجولان. لوحات تستقطر الفراغ الداخلي واستعارات الجثة، على نحو أكثر إذعانا للحسية العنيفة والصاعقة، مكثفة التفاصيل المنهمرة من فجوات السرد في الكتلة الخرساء للوحة.

يطل على المشاهد من بؤرة اللوحة الأولى جسد مكون على كرسي، دون رأس، أو بالأحرى برأس مدلى إلى الأمام، لا يبرز في المنظور الخلفي للكائن المعتقل، الماخوذ إلى رخاوته الذهنية، وتفتت الوعي، بينما ينحدر مصباح ينبعث منه ما يشبه اللمب، حتى يكاد يلامس ظهر العنق، البدان مشدودتان إلى الخلف بقيد مهوش، تفوح مادته في الأحمر المتفاقم، لا يتكشف عن حبل أو معدن، يبدو جزءاً من المعصمين الطافر منهما الدم. وفي اللوحة الثانية يرتاح الجسد الهارب على حقيبة سفر حمراء ضاماً الرأس بين المرفقين، منكفئاً على الفخذين، في إغفاءة تعب ووجع وانتهاه، لا تبدو الملامح والقسمات في الرسم النازع إلى إظهار البعد الشبكي للشخص الملاحق للمعابر. بينما يبرز في اللوحة الثالثة جسد مكوم، جثة عارية بالأحرى، غارقة في سواد لحدى، ومخللة بغيمة حمراء، يسيل قطرها على حواف الجسد المستكين إلى فراغه وعريه، وانكماشه المرعب.

تبدو لوحات فاديا عفاش الثلاث، لقطات مضيئة لاستعارات الجثة الذاتية إلى مفاهيها الداخلي والخارجي معاً، وكأنما تنظر إلى تفاصيل السرطان المتفاقم الذي مثلته سردية شهلا العجيلي على نحو تفصيلي ومشدن لخريطة الخواء الذي يرافق كيان المنفي والمهاجر السوري إلى الشتات الممتد والانتهائي.



خلق الجسد من فراغه (لوحة للفنانة فاديا عفاش)

شرف الدين ماجدولين  
كاتب مغربي

لعل من السمات الأساسية لحال النفي والتوزع عبر المعابر، والإقلاع من المراتع الأصلية تلك التي يكف فيها الجسد عن منح الشعور بالامتلاء والحركة، وتوليد الأحاسيس المتصلة بالأعضاء والغرائز، ويستحيل فيها إلى جثة مجازية، تجاور الجثث الحقيقية المكومة في شوارع المدن المنتهكة، ومشافيتها ومعسكرات اعتقالها، من هنا كان تعبير رواية "سماة قريبة من بيتنا" للسورية شهلا العجيلي، عن حال التجاور هذا الذي يصل الجسد بالجثة عبر تجربة السرطان الذي نكل بجسد البطلة "جمان بدران" الخارجة من حلب إلى عمّان، لتعيش تجربة الشتات بكل ما يعنيه من فقد للبيت والعمل والأهل وحتى الأغراض الشخصية البسيطة، والذي حولها بين عشية وضحاها من أستاذة جامعية إلى عاملة في مؤسسة هولندية للتضامن.

### الروائية شهلا العجيلي والتشكيكية فاديا عفاش كتلتها اشتغلتا على الفراغ في بناء سردى مكثف مخطوط بالقلم والريشة

تختصر الساردة عبر مسارات تفاقم السرطان في الجسد، هيمنة استعارات الجثة في مدونة تعبير المنفي عن استيطانه لحياة مفتعلة، وعابرة، بحيث تطل في كل مرة مفردات قادمة من عنمة الموت وتحلل المشاعر وتفسخ الأطراف وعصيانها، ذلك ما يسترعي الانتباه منذ اللحظة الأولى التي تواجه فيها البطلة أشعة الكشف ومحاليل الفحص ونظرات الطبيب الإختصاصي، حيث يتجلى الحوار وكأنما مع جسد وصوت دون كنه وجداني، يضاعف أحاسيس النفي، ويوحى بان الخروج واللجوء والشتات ليست صفات جمعية تتصل بالخصوصية إلى المحيط الأليف، ومقومات العيش الظاهرة إنما هو بمعنى ما تشوه لمعنى العيش في الداخل العميق. تقول الساردة في مقطع بالغ الدلالة:

"قررت الآن أن أتفاهم مع ورمي... وبدأت بطلب النوم، للنافذة التي إلى يسار سريري مصطبة... وقضبان حماية حديدية، ما إن التفت إليها بجسدي لأبحث عن وضعية مناسبة للنوم، حتى أطلت حمامة رمادية... وأجبرتني على الابتسام. انتهت أني لا زلت قادرة على أن أفعل... بين الصحو والمنام، تسللت إلى أذني عبارات مشوشة، وكان أحداً يسمع نشرة أخبار... علو منخفض وشظايا، الدولة الإسلامية... طائرات النظام... ثم ينسرب خدء من عند الجيران: وسترجع يوماً يا ولدي، مهزوماً، مكسور الوجدان...".

ويضيف محمد علوان "ما حققته الوزارة من مبادرات أولية يستحق منا الدعم والمؤازرة لأنه يمثل كافة المثقفين باختلاف توجهاتهم وطرق تعبيرهم المختلفة، بالنسبة إلى شخصياً أتمنى على وزارة الثقافة وعلى وزيرها الذي يصغي إلى جميع الآراء ويتفاعل مع أي فكرة إيجابية، أن يسعى جاهداً إلى ضمان نشر المؤلف السعودي داخلياً وخارجياً، وأن يكون سعر الكتاب في متناول الجميع، وحتى لو كان على هيئة طبعات شعبية متاحة للجميع، وأمل السعي الحثيث إلى ترجمة عطائنا الفكري والإبداعي إلى لغات عالمية. وأظن أن ذلك من أهداف الوزارة الأولوية. ويجب أن تكون هناك سلاسل في المعرفة والأدب والمسرح وترجمات لأشهر الأعمال العالمية بمقابل مقبول. وأتمنى من كل قلبي ألا تكون المناصب الثقافية لموظفين لا يضيفون للمشهد شيئاً ذا قيمة، لآبد -وبالذات في الشأن الثقافي- من موظفين مبدعين ومنتجين للمعنى الثقافي".